شرح

تجريد التوحيد المفيد

تأليف

الإمام العلّامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي

(٧٦٦ - ٨٤٥ هـ)

لفضيلة الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

الدَرْسِ (١١)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣] ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، **وأشهد أن لا إله إلا الله، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله خير من دعىٰ إلىٰ توحيد رب العالمين صلىٰ الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلىٰ يوم الدين، ورضي الله عن آله وأصحابه الموحدين الطيبين-.**

أما بعد؛

فمعاشر الإخوة إننا نحمد الله عزَّ وجلَّ أن أكرمنا فصلينا الفجر جماعة في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونرجو أن نكون في ذمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونسأل الله عزَّ وجلَّ كما جمعنا في هذا المجلس في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقرر فيه التوحيد وننصره أن يجمعنا جميعًا في الفردوس الأعلى مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللّٰهم يا ربنا يا حيّ يا قيوم أعط هؤلاء الحاضرين والسامعين ما يحبون في أنفسهم وفي من يحبون.

معاشر الإخوة! درسنا في شرح كتاب [تجريد التوحيد المفيد] لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي، المتوفى سنة ثمان مائة وخمس وأربعين من الهجرة -رحمه الله عزَّ وجلَّ وسائر علماء المسلمين، فيتفضل الابن نور الدين -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال العلامة أحمد بن علي المقريزي -رحمه الله تعالى- **في كتابه** [تجريد التوحيد المفيد]: وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِن الشِّرْكِ: الشِّرْكُ بِهِ تَعَالَىٰ فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

(الشرح)

تقدم معنا أنه بحسب ما دل عليه القرآن، ودلت عليه السنة، وقرره تاريخ الأمم: أن الشرك الواقع في الأمم نوعان:

- **شرك في الألوهية**: بأن يُعبد مع الله غيره، وتقدم تقريره وبيانه.
- **والنوع الثاني:** شرك في الربوبية بأن تُجعل بعض أفعال الله المختصة به لغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كالخلق والرزق، والتدبير، والإحياء، والإماتة، فيُجعل مع الله عزَّ وجلَّ شريك في ربوبيته، في أفعاله المختصة به، وهنا يتكلم المصنف -رحمه الله عزَّ وجلَّ- عن هذا النوع ويضرب أمثلة للمشركين في الربوبية.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: الشِّرك بِهِ تَعَالَىٰ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، كَشِرْكِ مَنْ جَعَلَ مَعَهُ خَالِقًا آخَرَ، كَالْمَجُوسِ وَغَيْرِهِمْ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: بِأَنَّ لِلْعَالَمِ رَبَّيْنِ، أَحَدُهُمَا خَالِقُ الْخَيْرِ، وَيَقُولُونَ لَهُ بِلِسَانِ الْفَارِسِيَّةِ "يَزْدَانْ"، وَالْآخَرُ: خَالِقُ الشَّرِّ، وَيَقُولُونَ لَهُ المَجُوسُ: بِلِسَانِهِمْ: "أَهْرَمَن".

(الشرح)

المجوس عبدة النار، ومن وافقهم أشركوا بالله عزَّ وجلَّ في ربوبيته من جهة الخلق، فجعلوا للخير خالقًا، وهو النور، ويعبرون عنه بالفارسية: ب "يزدان"، وجعلوا خالقًا آخر للشر ـ وما إليه، وهو الظلمة، ويعبرون عنه بالفارسية: ب"أهرمن"، وهذه الديانة قديمة، ويقال: إنها الآن اضمحلت، وصارت قليلة حتى كادت تذهب.

يوجد من المجوس اليوم قلائل في بقاع من الأرض، وعندما يرجع إلى كلامهم عن خالق الخير الذي هو النور، ويعبرون عنه بالفارسية بيزدان يظهر -والله أعلم- من ذكرهم له، ولصفاته أنهم يقصدون بأنه الله، يقصدون بهذا الخالق الخيِّر النور الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلامهم عن خالق الشر الذي هو الظلمة، ويعبرون عنه بالفارسية بأهرمن، وعن صفاته يظهر منه -والله أعلم- أنهم يريدون به الشيطان، فجعلوا الشيطالن خالقًا للشر وما إليه، فأشركوا بالله عزَّ وجلَّ في توحيد الربوبية من هذه الجهة.

إذًا هم مشركون في الألوهية؛ لأنهم يعبدون النار، ومشركون في الربوبية؛ لأنهم جعلوا مع الله خالقًا آخر، وهو الشيطان الذي يخلق الشر.

وتلحظون هنا أن المصنف قال: (الْآخَرُ: خَالِقُ الشَّرِّ، وَيَقُولُونَ لَهُ المَجُوسُ)، هذه يعبر عنها النحاة بلغة: أكلوني البراغيث، وهي لغة صحيحة غير أنها قليلة الاستعمال، هذا الصواب،وليست لغة فاسدة كما ينحو إليه بعضهم؛ بل هي لغة صحيحة، لكنها قليلة الاستعمال في اللسان.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: وَكَالْفَلَاسِفَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ: بِأَنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ إِلَّا وَاحِدٌ بَسِيطٌ، وَأَنَّ مَصْدَرَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا عَنْ الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ، وَإِنَّ مَصْدَرَ هَذَا الْعَالَمِ عَنْ الْعَقْلِ الْفَعَّالِ فَهُوَ رَبُّ كُلِّ مَا تَحْتَهُ وَمُدَبِّرُهُ.

(الشرح)

من المشركين في الربوبية من الأمم الفلاسفة،والفلاسفة قديمًا وحديثًا يزعمون أنهم يبحثون عن علل الأشياء، ومبادئ الأشياء، ويتعمقون في ذلك،ويتكلفون تكلفات كثيرة، يسمونها عقلية، وهي في الحقيقة جهلية.

والفلاسفة أَنْوَاع منهم:

ملاحدة، ويعزون العالم كله إلى المادة، والمادة هي: الهواء أو الماء أو الذوات، لا يؤمنون بالله أصلًا؛ ملاحدة، ويرون أن العالم كله هذا يعود إلى المادة، والمادة كونته، وهذه المادة بعضهم يقول:

الماء، وبعضهم يقول: الهواء، وبعضهم يقول: الذرات، وبعضهم يقول: الذوات، ويسمونها هذه المادة: بالجوهر الفرد.

يقولون: العالم كله يرجع إلى الجوهر الفرد، والجوهر الفرد هو المادة، والمادة إما أنها الماء، وإما أنها الهواء، وإما أنها الذرات التي تتركب حتى يكون المصنوع، وإما أنها الذوات.

ومن الفلاسفة: وجوديون يزعمون أن أصل العالم المادة، كالأولين، وهي أزلية، وأن هناك قوة إلهية موجودة في ذرات الكون.

الأولون ينكرون الإله أصلًا؛ هؤلاء نعم يرجعون الكون إلى المادة؛ لكن يقولون: إن الذرات في الكون فيها قوة إلهية، وكل ما في الكون متركب من الذرات؛ إذًا عندهم: الإله حالٌّ في كل موجود.

ولذلك يقول العلماء: قولهم هو أصل الحلولية.

ومنهم: فلاسفة مألهون.

منهم: ملحدون، ومنهم: وجوديون، ومنهم: مألِّهون، وهؤلاء يقولون: إن هناك إلهًا واحدًا، أزليًا، لا صفة له، ومنه صدر هذا الكون، ثم يزعمون أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، فهو العلة الأولى، وعنه صدر العقل الأول.

إذًا الفلاسفة عندما يقولون: العلة الأولى يقصدون بزعمهم إلهًا واحدًا أزليًا لا صفة له، عن هذه العلة الأولى صدر العقل الأول، أو الفلك الأول.

يسمونه: العقل الأول، ويسمونه: الفلك الأول.

وعنه صدر العقل الثاني، أو الفلك الثاني، وعنه صدر العقل الثالث أو الفلك الثالث إلى العقل العاشر والفلك العاشر وهو القمر، ثم صدر عن هذا العقل العاشر كل ما تحته، فيقولون: العقل العاشر هو العقل الفعال، وهذا العقل الفعال هو رب كل ما تحته، ومدبر لكل ما تحت القمر.

أي أنه خالق ومدبر كل ما تحت القمر.

وهذا العقل الفعال له معاونون هم الملائكة.

وهم في كل ذلك يخبطون خبطًا.

هنا الأصل عندهم والأكثر يقولون: العقل الفعال هو العقل العاشر، أو الفلك العاشر.

وبعضهم يقولون: العقل الفعال هو أول شيء اخترعه الله -بقولهم- وهو العقل الأول، ثم العقل الثاني عقل فعال، ثم الثالث عقل فعال، ثم العاشر فعل فعال. وتلحظون هنا أنهم مشركون في الربوبية؛ لأنهم يجعلون الخلق والتدبير لغير الله، يجعلونه للعقل الفعال العاشر، ويجعلون الله بزعمهم العلة الأولى التي صدر عنها العقل الفعال الأول، فهم مشركون بالربوبية.

ومقصود الشيخ هنا: أن يبين لك أمثلة من الأمم الذين أشركوا بالله في ربوبيته.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: وَهَذَا شَرٌّ مِنْ شِرْكِ عِبَادِ الْأَصْنَامِ وَالْمَجُوسُ وَالنَّصَارَىٰ، وَهُوَ أَخْبَثُ شِرْكٍ فِي الْعَالَمِ.

(الشرح)

أي: شرك الفلاسفة في الربوبية أخبث من شرك عُبَّاد الأصنام الذين عندهم نوع من الشرك في الربوبية، لكنهم يؤمنون بالربوبية في الجملة، ومن شرك المجوس الذين عندهم شرك في الربوبية كما تقدم، لكنهم يجعلون خالق الخير وما إليه هو الله -كما قدمناه-، ومن شرك النصارى الذين عندهم شرك في الربوبية؛ لأنهم يجعلون الابن والروح القدس شركاء للرب في ربوبيته، فالإله عندهم واحد من ثلاثة وثلاثة في واحد.

فشرك الفلاسفة أخبث شرك في العالم؛ لأن فيه إسناد الربوبية كلها إلا العقل الأول إلى غير الله، وما يجعلون الله عزَّ وجلَّ مخترعًا بزعمهم وقولهم إلا للعقل الأول. وبيَّن المصنف خبث شركهم،والشرك كله خبيث؛ لكنها ظلمات بعضها أشد من بعض.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: وَهُوَ أَخْبَثُ شِـرْكٍ فِي الْعَالَمِ؛ إِذْ يَتَضَـمَّنُ مِن التَّعْطِيلُ وَجَحْدُ الْإِلَهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَاسْـتِنَادُ الْخَلْقِ إِلَىٰ غَيْرِهِ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَا لَمْ يَتَضَـمَّنْهُ شِـرْكُ أُمَّةٍ مِنْ الْأُمَمِ. وَشِـرْكُ الْقَدَرِيَّةِ مُخْتَصَـرٌ مِنْ هَذَا وبَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا شَـبَّهَهُمْ الصَّـحَابَةُ- رَضِـيَ اللهُ عَنْهُمْ- بِالْمَجُوسِ.

(الشرح)

تقدم معنا أن شرك القدرية الذين ينتسبون إلى الإسلام منبثق من شرك المجوس، ولا شك أن الشبه بين شرك القدرية وشرك المجوس واضح؛ بل شرك القدرية أخبث؛ لأن المجوس قد جعلوا خالقين، والقدرية قد جعلوا خالقين، وقد تقدم بيان وجه هذا في الدرس الماضي.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: كَمَا ثَبَتَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، وَقَدْ رَوَىٰ أَهْلُ السُّنَنِ فِيهِمْ.

(الشرح)

أي روى ذلك عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من قوله، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- من قوله اللالكائي، روى ذلك عن ابن عمر وابن عباس -رضي الله عنهم- من قوليهما اللالكائي.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: وَقَدْ رَوَىٰ أَهْلُ السُّنَنِ فِيهِمْ ذَلِكَ مَرْفُوعًا: أَنَّهُمْ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

(الشرح)

جاء عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قال: «الْقَدْرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، رواه أبو دواوود، وحسنه الألباني، وضعفه جماعة من أهل العلم.

وجاء عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُكَذِّبُونَ بِأَقْدَارِ اللَّهِ»، وحسنه الألباني وضعفه جماعة من أهل العلم.

وجاء هذا -أيضًا- عن حذيفة مرفوعًا بإسناد ضعيف كما عند ابن أبي عاصم في السنة، وعن عائشة أيضًا -رضي الله عنها- مرفوعًا بإسناد ضعيف كما عند ابن أبي عاصم في السنة، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعًا بإسناد صححه الألباني كما عند ابن أبي عاصم في السنة.

إذًا جاء مرفوعًا عن ابن عمر، وحسَّنه الألباني، وضعَّفه جماعة من أهل العلم، وجاء مرفوعًا عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنه وعن أبيه- وحسَّنه الألباني، وضعَّفه جماعة من أهل العلم، وجاء مرفوعًا عن أبي هريرة -رضي الله عنه- بإسناد صححه الألباني، وجاء عن عدد من الصحابة مرفوعًا بأسانيد ضعيفة، وهذا يدل على أن له أصلًا، فأدنى ما يكون أنه حسن لغيره.

فالقدرية مجوس هذه الأمة بقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد عرفنا وجه الشبه بين القدرية والمجوس.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: وَكَثِيرًا مَا يَجْتَمِعُ الشِّرْكَانُ فِي الْعَبْدِ وَيَنْفَرِدُ أَحَدُهُمَا عَنْ الْآخَرِ.

(الشرح)

قد يجتمع الشركان: شرك الربوبية، وشرك الألوهية، فيكون القوم مشركين بالله في ربوبيته، ومشركين به في ألوهيته، كما قلنا في المجوس فإنهم يعبدون النار، وهذا شرك في الألوهية، ويجعلون مع الله خالقًا، وهذا شرك في الربوبية.

والقبوريون الذين يعبدون المقبورين في قبورهم الذين يسمونهم الأولياء الصالحين الذين يدعونهم، ويستغيثون بهم، ويستمدون منهم المدد والقوة، وقد يطوفون حول قبورهم تقربًا إليهم، وقد يستلمون قبورهم التماسًا للبركة منهم هم، هؤلاء يجتمع فيهم الشرك في الألوهية، والشرك في الربوبية، فكل ما ذكرناه وسيأتي -إن شاء الله- شرك في الألوهية، شرك أكبر؛ لأنهم يعبدون غير الله، ومن عبد غير الله فقد أشرك شركًا أكبر؛ لأن العبادة محض حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم يشركون في الربوبية؛ لأنهم لا يفعلون هذا مع المقبورين إلا وهم يعتقدون أن لهم قدرة، وأن لهم تأثيرًا، وأن لهم بركة ذاتية تصدر منهم، وأنهم يدبرون؛ بل ويحيون ويميتون، لا شك أنه موجود عندهم؛ بل يصرحون بذلك، وهذا شرك في الربوبية؛ بل قلنا: إن هؤلاء القبوريين يجتمع فيهم الشرك

كله، فعندهم شرك في الربوبية، وعندهم شرك في الألوهية، وعندهم شرك في الصفات، فهم يجعلون للمقبورين بعض ما يثبتونه لله من الصفات، ككونهم يعتقدون أن المقبور الذي يعظمونه يسمع الأصوات كلها، ويميز صوت كل واحد، ويعطي كل واحد سؤله؛ ولذلك يدعونه من قرب،ويدعونه من بعد، ويأمرون بدعاءه، ويعطلون كثيرًا من صفات الله، فتجتمع فيهم أنواع الشرك كله.

ولا شك أن شرك الألوهية قد ينفرد، فيكون الإنسان موحدًا في الربوبية من جهة الجملة، فإذا سئل من الخالق؟ قال: الله، من الرزاق؟ قال: الله، من المدبر؟ قال: الله، من المحيي؟ قال: الله، من المميت؟ قال: الله، لكنه يعبد غير الله، فيوجد منه شرك الألوهية منفردًا، ويوجد فيه توحيد الربوبية من جهة الجملة، أما انفراد شرك الربوبية في إنسان فلا يوجد، كل من يشرك في الربوبية لابد أن يشرك في الألوهية؛ إذ كيف يعبد الله من لا يقر بوجود الله؟! هو ما يقر بوجود الله أصلًا، كيف يعبد الله من يعتقد أن الله ليس ربًا؟!

إذًا قد يجتمع الشركان ولا شك؛ بل قد تجتمع أنواع الشرك الثلاثة.

وقد ينفرد شرك الألوهية بلا شك،والقرآن دل على هذا.

أما انفراد شرك الربوبية فلا، فكل من أشرك في الربوبية لابد من أن يكون مشركًا في الألوهية.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَلْ الْكُتُبُ الْمُنَزَّلَةُ مِنْ عِنْدِ اللهِ- تَعَالَىٰ- كُلُّهَا مُصَرِّحَةٌ بِالرَّدِّ عَلَىٰ أَهْلِ هَذَا الْإِشْرَاكِ.

(الشرح)

كما تقدم: كل كتب الله المنزلة متطابقة على الأمر بالتوحيد عمومًا، وبتوحيد الألوهية والعبادة خصوصًا، وعلى النهي عن الشرك، كما أن رسل الله -عليهم السلام- متفقون على الأمر بالتوحيد عمومًا، وبتوحيد الألوهية والعبادة خصوصًا، والنهي عن الشرك، وقد أخبرنا الله عزَّ وجلَّ بهذا جملة وتفصيلًا، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا**

الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، إذًا كل رسول أرسله الله قال لقومه: "اعبدوا الله"، أي: وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾: اجتنبوا الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقال -سبحانه-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥]، فما أرسل الله رسولًا إلا أوحى إليه أنه لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله، ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ أي: فوحدون، لا تشركوا مع الله أحدًا.

وعندما أخبرنا الله بالتفصيل عن بعض الرسل كان الجامع للرسل أنهم يقولون لأقوامهم:

اعبدوا الله، وكانت الأقوام عارفة بمعنى: لا إله إلا الله، غير أن المشركين أبو الانصياع لها.

مشركوا الأمم كلهم فهموا من دعوة الرسل أنهم يدعونهم إلى عبادة الله وحده، وإلى ترك عبادة غيره، والقرآن كله يدعوا إلى التوحيد، وينهى عن الشرك، كل ما في القرآن دعوة إلى التوحيد، ونهي عن الشرك، فالآيات بعضها مفردًا، وبعضها مضمومًا، ومجموعًا كأن فيه قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١]، وقول الله عزَّ وجلَّ:﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

ولذلك لا شك -ورب الكعبة- أن أتباع الرسل المشرفين بحمل ما تحمله الرسل هم الذين يدعون إلى توحيد الألوهية، وينهون عن الشرك، وهم اليوم يقومون في الأمة مقام الرسل جميعًا الذين كانوا يدعون إلى توحيد الله ولاسيما في الألوهية، وينهون عن اَلشِّرْكُ.

ولذلك يا معاشر طلاب العلم الذين شرَّفكم الله بمعرفة قدر التوحيد، والدعوة إلى التوحيد! اعلموا أنكم إن أخلصتم فأنتم خيار أهلكم، وإن سبكم من سبكم، وإن شتمكم من شتمكم، فإنهم والله لا يضرون إلا أنفسهم.

فمن أكرمه الله بمعرفة التوحيد وتحقيق التوحيد، والدعوة إلى التوحيد فليعلم أن الله اصطفاه، وجعله من الأخيار فلا ينتكسن بسوء النية، وليحرص على الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قال -رحمه الله-: كقوله تعالىٰ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، فَإِنَّهُ يَنْفِي شِـرْكَ الْمَحَبَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وقوله: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فَإِنَّهُ يَنْفِي شِرْكَ الْخَلْقِ وَالرُّبُوبِيَّةِ.

(الشرح)

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، كلام قصير، جامع محيط، لا يخرج عنه شيء.

وتقديم المعمول في الآية يفيد الحصر.

وفي الآية تبرؤٌ من الشرك، وتبرك من الحول والقوة إلا بالله.

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، إياك نوحد، ونخاف، ونرجو، ولك نذل ونخضع لا لغيرك، عبادتنا كلها لك، وخوفنا، ورجاؤنا وذلنا وخضوعنا لك لا لغيرك.

ولذلك من المصلين صادقون مصدقون، ومن المصلين كاذبين مكذبون، عندما يقول العبد مناجيًا ربه في صلاته (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، وهو صادق لا يعبد إلا الله، ليس لأحد ولا لشيء نصيب من عبادته، ولا يستعين إلا بالله، في الرخاء يستعين بالله، في الشدة يستعين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا صادق مصدق يقف بين يدي الله صادقًا مصدقًا، والذي يشرك بالله قبل أن يدخل في الصلاة توجه إلى المقبور يرجوه ويخافه، ويلتمس خيره، ويخاف شره، ويدعوه، ويطلب منه المدد، ثم يدخل في الصلاة ويقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، كذاب، ما قصر عبادته على الله؛ بل عبد مع الله غيره، وإذا قال ذلك كان مكذبًا، يكذبه الله هو أعلم به، فنعوذ بالله أن نكون من المكذبين الذين يصلون وهو مشركون، ويصرفون أنواعًا من العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقولنا: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، ينفي شرك الألوهية وشرك العبودية؛ لأنك عندما تقول: إياك نعبد هذا إثبات ونفي؛ لأن أسلوب الحصر يقتضي الإثبات والنفي، إثبات العبادة لله، ونفي العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ففي ذلك نفي شرك الألوهية.

وقد عرفنا سابقًا أن أصل توحيد الألوهية المحبة، وأصل الشرك في الألوهية التعظيم والمحبة.

(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، أي: نستعين بك على جميع أمورنا، ومن ذلك أنا نستعين بك على عبادتنا، فلا حول لنا ولا قوة إلا بك، ولا نستعين بغيرك، وهذا ينفي شرك الربوبية؛ لأن الاستعانة بالله -سبحانه- لا تكون إلا لأنه الرب القوي القادر المدبر.

فالآية فيها: إثبات توحيد العبادة، والبراءة من الشرك فيه، وإثبات توحيد الربوبية، والبراءة من الشرك فيه.

قال ابن القيم -رحمه الله-: [صلاح العبد وسعادته في تحقيق معنى قوله -تعالى-: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]].

نعم والله، الصلاح، والسعادة، والخيرية، والعزة، والقوة، والتمكين في تحقيق العبد هذه الجملة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، الفلاح في الدنيا والآخرة لأصحابها.

يقول -رحمه الله-: [فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب، لكن على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذى يستعان به على المطلوب.

فالأول: من معنى ألوهيته، والثانى: من معنى ربوبيته، فإن الإله هو الذى تألهه القلوب].

أي: أي: تعبده وتحبه.

[والرب تعالى هو الذى يربى عبده، فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى مصالحه].

وقال -أيضًا- عن الله: [فهو يعبد بألوهيته، ويستعان بربوبيته].

فهو يعبد بألوهيته، أي: يعبد؛ لأنه الإله.

ويستعان بربوبيته، أي: يستعان به؛ لأنه الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا معنى قول المصنف: (**{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}**، فَإِنَّهُ يَنْفِي شِرْكَ الْمَحَبَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وقوله: **{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** فَإِنَّهُ يَنْفِي شِرْكَ الْخَلْقِ وَالرُّبُوبِيَّةِ).

(المتن)

قال -رحمه الله-: فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَجْرِيدَ التَّوْحِيدِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْعِبَادَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِشْرَاكُ غَيْرِهِ مَعَهُ، لَا فِي الْأَفْعَالِ وَلَا فِي الْأَلْفَاظِ وَلَا فِي الْإِرَادَاتِ.

(الشرح)

التوحيد: قول، واعتقاد، وعمل: عمل قلوب وعمل ظاهر، ويقين.

التوحيد قول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

واعتقاد: اعتقاد جازم أنه لا يستحق العبادة إلا الله.

وعمل: عمل القلوب الخوف والرجاء ونحو ذلك، والعمل الظاه الذي هو العبادة، أن تكون العبادة لله.

بيقين: لابد من أن يكون القول والاعتقاد والعمل بيقين، الشرك يقابل هذا، فالشرك يكون بالقول، ويكون بالاعتقاد، ويكون بالعمل، بعمل القلب والعمل الظاهر، ويكون بالشك.

إذًا انتبه! الشرك مقابل التوحيد، والتوحيد قول واعتقاد وعمل بيقين، **فالشرك الذي يقابله:**

- **قد يكون في القول.**
- **وقد يكون في الاعتقاد.**
- **وقد يكون في العمل، عمل القلب أو العمل الظاهر.**
- **وقد كون بالشك؛ لأن الذي يقابل اليقين الشك.**
- **وهذه قضية مهمة في فهم التوحيد وفهم الشرك.**

والقول:

قد يكون شركًا أكبر، كما لو قال قائل: يا رسول الله المدد، هذا شرك أكبر، يا رسول الله الولد، هذا شرك أكبر.

وقد يكون شركًا أصغر، كقول القائل: والنبي، ورأس أبي، وحياة أمي، وحياة أولادي، والنعمة، هذه شرك أصغر.

والفعل:

قد يكون شركًا أكبر وقد يكون شركًا أصغر، كمن لبس الحلقة يعتقد أنها تشفي بذاتها، فهذا شرك أكبر، ومن لبس الحلقة يعتقد أنها سبب للشفاء فهذا شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس سببًا سببًا.

والاعتقاد:

قد يكون شركًا أكبر، وقد يكون شركًا أصغر، فإذا اعتقد أن غير الله ينفع من دون الله، أو يضر من دون الله، أو أنَّ له نصيبًا مما لله، فهذا شرك أكبر، حتى لو لم يفعل شيئًا.

وإذا اعتقد أن شيئًا سببًا لم يجعله الله سببًا، فهذا شرك أصغر.

والشك:

لا يجامع التوحيد، إذا وجد الشك ارتفع التوحيد، التوحيد لابد فيه من يقين؛ ولذلك قال المصنف: (**وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِشْرَاكُ غَيْرِهِ مَعَهُ، لَا فِي الْأَفْعَالِ وَلَا فِي الْأَلْفَاظِ وَلَا فِي الْإِرَادَاتِ**).

قوله (**الْإِرَادَاتِ**)، شمل الاعتقاد وأعمال القلوب، وسيأتي تفصيل ذلك في كلام الشيخ ونعلق عليه -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-.

لعلنا نقف عند هذه النقطة، ونكمل -إن شاء الله- في الدرس القادم وليس السبت القادم؛ لأن آخر درس لي -إن شاء الله- سيكون يوم الخميس، ثم تتوقف دروسي -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- إلى الأسبوع الأخير من الشهر السادس، الشهر السادس بالهجري، أي: في الأسبوع الأخير من الشهر السادس سأدرس -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-، ثم في الإجازة -أيضًا- سأدرس -إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

سنتوقف من أجل اختبارات طلاب الجامعة، مراعاة لأبنائنا الطلاب، وأنا قلت سندرس في الأسبوع الأخير من الشهر السادس الهجري؛ ظنًا مني أن الاختبارات ستنتهي قبل ذلك، فإذا علمت أن الاختبارات ستستمر في ذلك الأسبوع إذ ذاك سنجعل دروسنا في أول شهر سبعة؛ لكن الأصل أنها في آخر الشهر السادس -إن شاء الله- الأسبوع الأخير سأدرس -إن شاء الله-، سأستمر في التدريس -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- إلى يوم الخميس، ثم نتوقف؛ مراعاة لأبنائنا الذين عندهم اختبارات.

أسأل الله أن يوفق الجميع، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، وأن يعيذنا -سبحانه- من كل شرك وشر، والله -تعالى- أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.

أيضًا نسيت، أنا أعتذر عن درس العصر اليوم؛ لغرض علمي، لن أقيم الدرس اليوم -إن شاء الله- حتى لا نشرع في كتاب الطلاق، ثم نقطعه، ثم نعود إليه بعد ثلاثة أسابيع، فإن شاء الله نبدأ به عندما نعود للدرس.

وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَسَلَّمَ.